



خطبة صلاة الجمعة 29 / 5 / 2015 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(مراعاة الآداب العامة-2)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ لِحَيْرٍ مُتَتَلٍّ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَّبُ).

روى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة التاسعة عشرة في سلسلة خطب عنوانها (فضيلة... أخلاق تعاملية)، بإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لا يليق بمثلك. وهذا هدف السلسلة.

عنوان خطبة اليوم: (مراعاة الآداب العامة-2)

أيها الإخوة:

الآداب العامة: هي ما تعارف الناس على تسميته مؤخراً بالذوق.

والذُّوق في اللغة: إدراك طعم الشيء، يقال: ذُقْتُ الطعام أذوقه، ثم انتقلت كلمة الذوق من موضعها الأصلي التي قيلت فيه إلى مواضع عدّة استُعيرت لها، منها الأدب واللباقة. يقال: فلان صاحب ذوق رفيع أي: له أدب رفيع.

قال الإمام السيوطي: (اعلم بأنّ الذُّوق السليم نتيجة الذكاء المفرط، والذكاء المفرط نتيجة العقل الزائد، والعقل الزائد سرُّ أسكنه الله في أحب الخلق إليه، وأحب الخلق إليه الأنبياء، وخلاصة الأنبياء نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم أكمل النَّاس عقلاً، وأرضاهم خلقاً، وأكثرهم فضلاً).

الآداب العامة هي ما يعرف في اللغتين الإنكليزية والفرنسية بـ (الإتيكيت) وتعني آداب المعاملة والتصرف بلباقة.

أحببت في سلسلة فضيلة أخلاق تعاملية، أن أنشر بين أيديكم جُملاً مختارة من أدب الإسلام الحنيف وذوقه الرفيع، تذكراً للغافل ومدارساً للذاكر؛ ليكون الواحد فينا علماً بين أقرانه في الأدب، وبيرقاً يستدل به على الذوق الرفيع، وشامةً في الناس.

ولئن كنت في خطبة الأسبوع الماضي عرضت لآداب عامة عشرة، فإليكُم اليوم آداباً عامةً عشرة:

1- إذا نزل بك ضيف فارع حقّ إكرامه بأن تحسن مجلسه ومقبله ومببته، وإذا قدّمت له منديلاً للتنشيف من ماء الوضوء أو من غسل اليدين فليكن نظيفاً غير ما تستعمله أنت وأولادك، وقبل دخول ضيفك الحمام غيّب ما فيها مما لا يحسن أن تقع عليه عين الضيف والغريب. وباعد عن نظره ملابس النساء وما يتصل بحالهن فإنّ ذلك من الحشمة المطلوبة.

2- إذا زُرت مريضاً فلتكن زيارتك مُعينّة على تخفيف ألمه، مُدخلّة السرور عليه، ولا تُطِلّ المقام عنده فرماً كانت له حاجة خاصة يستحي من إظهارها أمامك، فعيادة المريض كجلسة الخطيب.

ذكروا عن التابعي الجليل سليمان بن مهران الأعمش أنه جاءه في الغداة قوم يعودونه من مرض، فلما أطالوا الجلوس عنده أخذ الشيخ وسادته وقام منصرفاً، وقال لهم: قوموا فقد شفى الله مريضكم!

ولتكن عند زيارة المريض نقيّ الثوب، طيّب الرائحة لتنشرح نفسه وتنتعش صحته، ولا تخبره بخبر يحزنه كخسارة تجارة أو وفاة حبيب، بل سق له الأخبار السارة وأحاديث الشفاء والأمل، وادع له بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**»، سبع مرات.

3- من أدب المجالسة أن تحدث جليستك بصوت خفيض تجهر بالكلام على قدر الحاجة، لأنّ الجهر الزائد عن الحاجة يُخلُّ بأدب المتحدث. وإذا حدّثك جليستك بحديث ظنّك لم تعرفه - وكنت تعرفه -

فلا تُنجله بإظهار معرفتك له ولا تداخله فيه وأبدِ اهتمامك وإصغاءك، قال التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح: (إنَّ الشاب ليحدثني بحديث فأستمع له كأني لم أسمع، ولقد سمعته قبل أن يولد).

4- من أدب اللباس أن تلبس لباساً جميلاً نظيفاً، يتناسب والعرف العام، فلا يحسن أن ترتدي البنطال الممزق ولا الضيق ولا المنخفض السرج الذي يكشف ظهر صاحبه إذا انحنى، ولا يحمل أن ترتدي القميص الملون بألوان النساء ولا المكتوب عليه الكلمات المريبية ولا المصوّر بالصور الغريبية، وليلبس الرجل لباس الرّجال، ولتلبس المرأة لباس النساء، وابتعد عن لباس أهل الفسق والمجون.

5- إذا كنت كثير التعرق فاستخدم معطراً مناسباً أو مادة مزيلةً لرائحة العرق، بالإضافة إلى الاستحمام اليومي، وحلق شعر الإبط والعانة، وتبديل الملابس الداخلية.

روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَشْرٌ مِنَ الْفَطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ، وَاسْتِنَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنْفِ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ». قال زكرياء: قال مصعب -وهما من رواة الحديث-: (ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة).

وروى الإمام مسلم أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (وَقَتَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَتَنْفِ الْإِبْطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا تَتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً). أي إذا دعت الحاجة إلى الترك ولم يتمكن من الغسل والقص والتقليم في كل أسبوع فلا يجوز له أن يؤخّر ذلك أكثر من أربعين ليلة، فإنه حينئذٍ آثم كما نصّ الفقهاء على ذلك.

6- اعتنِ بنظافة أسنانك، وطيب رائحة فمك: ففي البخاري ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمُ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» وفي رواية: «مع كل وضوء».

7- من اللباقة في قيادة السيارة ألا توقّف سيارتك في مكانٍ يؤذي الآخرين، وألا تزعج النَّاسَ بصوت مسجّلها العالي أو بُوقها، وأن تتقيد بتعاليم المرور العامة، وأن تقف لتأذن لكبار السنّ والضّعفة والأطفال بالمرور، وإذا مررت بحفرة ماء فانتبه أن تؤذي المارة على الطريق بالماء المتناثر من إطارات سيارتك.

8- ومن الذوق في المسجد: أن تحرص على دخوله بأجمل الثياب وأحسن الهيئة؛ إذ ليس من الكمال دخول المسجد بثياب العمل المتسخة أو ثياب النوم. وأن تزيل عند خلع الحذاء ما علق به من أوساخ، وتطبقه، وتضعه في أقرب مكان مخصّص، واحذر رفعه فوق رؤوس النَّاسِ، أو رميه على الأرض بصوت عالٍ عند الخروج.

وانتبه إلى طهارة الجورب ونظافته قبل المشي به على سجاد المسجد، وراعِ تخفيف قدميك في الموضاً قبل مرورك على سجاد المسجد.

9- حافظ على أثاث المسجد وموجوداته، واستأذن إمامه فيما يبدو لك فعله فيه. واعلم أن الكراسي في المسجد مخصصة للمضطرين من كبار السن والمرضى، فلا تراحمهم عليها.

10- ادخل المسجد مقدماً رجلك اليمنى، وادعُ دعاء الدخول، وابدأ بصلاة ركعتي تحية المسجد، واستغل وقتك فيه بالعبادة والعلم، ولا ترفع صوتك فيه فتزعج المصلين أو القارئ أو المتعلمين، وأخرج من المسجد مقدماً رجلك اليسرى، وادعُ دعاء الخروج.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك» [مسلم].

أيها الإخوة:

هذا شيء من الآداب العامة، التحلي بها مغنم والتخلي عنها مغرم، أختِمها بذكر أمورٍ ثلاثة تعينك على تحصيل هذه الآدابِ وأمثالها، بل وتعينك في تربية أبنائك وطلابك ومن يعينك أمرهم:

1- الإكثار من ذكر الله تعالى.

2- المطالعة في كتب الآداب الإسلامية: وأنصحك بكتاب (الآداب الإسلامية) للدكتور محمد خير فاطمة.

3- مصاحبة أهل الفضل والعلم والإيمان، ومجالسة العائلات المعروفة بالأدب والذوق والأصالة.

قال الصالحون: (حُسْنُ أَدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ أَدَبِ الْبَاطِنِ).

اللهم أدِّبنا بآداب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقنا بأخلاقه.

والحمد لله رب العالمين